



قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552



سيكولوجية الاقتدار

psychology of capacity

بورقدة صغير¹*

¹ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، مخبر تطوير الخدمات النفسية والاجتماعية في المؤسسات العمومية، الجزائر.

Key words:

crisis
psychology of capacity
Self-concept
intellectual immunity.

Abstract

Suddenly ,crises are sweeping the world , it generates unexpected effects ,which demonstrated the mandatory psychological formation of the individual to be able to adapt with any innovator ;therefore, this intervention was proved through the crisis problematic and psychology of human capacity to be ready for every sudden emergency may affect his capabilities related to orientation towards life in sense of self existence, from the concepts of contemporary positive psychology

y, which attaches strong importance to the self, ability, subjective and objective belief in order to optimally represent the environment; indicating the negative trend in the positive psychology considering that the negative and the positive are the consequences of an individual action and his environmental interaction which is substituted by the psychology of competence with concepts sothat the perception will be available, individual differences, and intellectual immunity as its essence in its pure methodological dimension and with an analysis that leads to statement of the dimension of this intellectual immunity, enabling the individual to be able to overcome situations and crises, with the abilities of analysis, resistance ,anticipation and foresight,. The formulas are framed with a passive helpful approach, the consideration of reading positive psychology to a critical or undermining reading towards the psychology of capacity.

ملخص

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال: 2022-05-09

القبول: 2022-09-24

الكلمات المفتاحية:

أزمة

سيكولوجية الاقتدار

مفهوم الذات

المناعة الفكرية.

تحتاج الأزمات العالم بصورة فجائية ، فيتولد عنها تأثيرات غير محسوبة ، مما يكشف عن إلزامية التكوين السيكولوجي للفرد حتى يتمكن من التكيف مع كل مستحدث ؛ لذلك حقت هذه المداخلة من خلال إشكالية سيكولوجية الاقتدار في مجابهة كل طارئ فجائي قد يمس بقدراته ذات العلاقة بالتوجه نحو الحياة ، من حيث المعنى الوجودي للذات ، انطلاقا من مفاهيم علم النفس الإيجابي المعاصر الذي يولي أهمية قوية للذات و القدرة و الاعتقاد الذاتي و الموضوعي بغية التمثل التفاضلي للبيئة؛ مبينة الاتجاه السلبي في علم النفس الإيجابي، متجاوزة تناظره به ، باعتبار أن السلبي و الإيجابي أثار لفعل كلية الفرد في تفاعله البيئي، مستعيضة بسيكولوجية الاقتدار، بمفاهيم يعد الإدراك ،الفروق الفردية، والمناعة الفكرية جوهرها، في بعدها المنهجي الخالص، و بتحليل يصل إلى بيان أبعاد هذه المناعة الفكرية، في تمكين الفرد من الاقتدار على تجاوز المواقف و الأزمات، بمقدرات التحليل و المقاومة و الاستشراف، تؤطر الصيغ بمقاربة السلبي المفيد، تفتح النظر في قراءة علم النفس الإيجابي قراءة نقدية / تقويمية في تجاه سيكولوجية الاقتدار .

1. مقدمة

و الاقتدار في دلالاته اللغوية العربية مأخوذ من المصدر قدر، ومنه قدر على الشيء، أي جمعه واستوعبه و اقتدر عليه (قاموس المحيط)، وفي اللغة الإنجليزية تعني الكلمة (Human Strengths) الصفة أو الحالة من كون الشخص قويا، هذه الصفة التي تتضمن القدرة على التحمل، كما تعني القدرة على التأثير أو التركيز، ويستهدف مفهوم الاقتدار عملية بناء كيان إنساني يتلخص في التمكن الوجودي الذي يقوم على ثلاثة دعائم وهي: حرية الإرادة، إرادة المعنى، ومعنى الحياة، ويأتي الحديث عن المعنى مع أفكار فيكتور فرانكل (Viktor Frankl) المعارضة للمبادئ الكلاسيكية التي حصرت الحياة في اللذة والقوة، أين رأى فرانكل معنى الحياة سبيلا قوية لأسباب البقاء؛ ويذهب جان لابلانز⁽²⁾ (J. Laplanche) في ذات الصدد إلى أن التحليل الفرويدي قد سار في اتجاهين متناقضين، أولهما اللاوعي، وهو مفهوم يؤكد الآخر وتأثيره في الذات، و ثانيهما اكتشاف مهمة إعادة الذات إلى ذاتها وإهمال ما تركه الآخر عليها.

في علم النفس الإيجابي يقابل مفهوم الاقتدار ما يسميه مارتن سليجمان (Martin Seligman) بالعجز المتعلم أو المكتسب ويرتبط العجز المكتسب بفقد الأمل، و يراه سليجمان في العجز المعرفي والدافعي والعاطفي نتيجة التعرض لأحداث لا يمكن التحكم فيها لفترات طويلة، وتتكون هذه الظاهرة من الاقتران (Contingence)، المعرفة (Cognition)، السلوك (Comportement)؛ فالاقتران ماهو إلا علاقة موضوعية بين النتيجة والاستجابة، أين يمكن التحكم في الأحداث بفعل الاستجابة الإرادية. هذا التحكم الذي يرتبط بإدراك الفرد وتفسيره وتوقعه لمكون الاقتران فيمنحه سلوكا ناتجا عنه، وكذلك بالمقدرة على التوقع المستقبلي، ويذهب سليجمان إلى إمكانية التخلص من هذا العجز من خلال إكساب الفرد توقع النتيجة باعتماد الاستجابة (أحمد فتحي، 2019)؛ ويضيف أن أساليب التخلص تنصل بإعادة العزو العلاجي، فكل الناس عرضة للعجز على التحكم. مراهنة سليجمان على المبالغة في الاتجاه الإيجابي تفتح لها تساؤلات تستجلب الجهاز المناعي النفسي في تفسير تعالق الانفعالات أو استقلاليتها، هذا الذي يفتح الرؤى النقدية على علم النفس الإيجابي.

3 مقاربات في الاقتدار

تشعبت الاعتبارات المنهجية في تناول موضوع الاقتدار، وأخذت صورا ارتبطت في عمومها بين السياق الاجتماعي (Contexte social) من جهة، و بسمات الشخصية (Traits de personnalité) من جهة ثانية؛ وقد مالت الباحثتان ليزا أسبينوال و أورشولا ستاودنغر إلى تبني السياق مرجعية في عملية التكيف، إذ أن، حسب رأي الباحثتين، الاقتدار ليس ثابتا، بل هو رهن المرونة التكيفية للظروف، وتطرعان علاقة، في غاية الأهمية، تربط بين السلبية والإيجابية في سيكولوجية الاقتدار (حجازي، 2012)، حيث بعدها الرئيسي فحص الأوجه

انتشر في الوقت الراهن، الذي تجتاحه الأزومات المتوالية، مصطلح القلق، و لعل من بين أقوى تفسيرااته النفسية نظرة الفرد إلى العالم (Weltanschauung) كما يحلو لبول شيلدرز (Paul Shields) تسميتها باللغة الألمانية، هذا المصطلح الذي يحيلنا إلى ما يتفق عليه بالميتاكلينيكي للعلاج النفسي حيث التصور الخاص لا يمس الفرد و فلسفة حياته، فحسب؛ بل التصور من جهة الخطأ والصواب. وإذا كان للقلق أسباب خارج نطاق الذات، فإن أخطرها تلك المتعلقة بالذات من حيث نظرتها للذات في حد ذاتها من جهة، و نظرتها للموضوع لارتباطها به من جهة ثانية، في تحليل لمفاهيم لها علاقة بتصورات علم النفس في محددهاته التي تشكل نظرياته، لا سيما علم النفس الإيجابي، والذي يقدمه المرافعون عنه في صورة كاملة تخلو من النقد و التقويض، حيث يقصي الجانب السلبي إقصاء، يفرض مناقشته في صورة إيجابية السلبية وتفاعلهما، مما يسمح بالاقتدار على الأزومات، بتكوين مناعة فكرية، تمكن الفرد من التكيف مع ما تعرفه البيئة من أزومات متجددة، ليحقق بحث إشكالية سيكولوجية الاقتدار⁽¹⁾ في هذا المقال.

2. الاقتدار

ينحجب انطراح مفهوم الإيجابية في الدراسات النفسية و إسقاطاتها العملية في الفعل التركيبي للمفهوم، عامة، فتطور المعرفة عبر تاريخها يكشف التوليفات التي تشكل الماهيات، و لا يخرج الحديث عن علم النفس الإيجابي و محاولات انفصاله و حيدته عن مسار التطور الطبيعي الذي يشكله في هذا الطرح؛ توطئ هذه البداية للفعل النقدي الذي يبحث تكوين الإيجابية، في نظريات تسعى إلى الاستقلالية المطلقة، و أخرى إلى التوليف بين المتضادات، بغية الاقتدار الذي يعد جوهر الإيجابية.

في الوقت الذي انشد العالم إلى تأثيرات أزمة كورونا على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، لم يشغل المهتمون بالفرد من حيث أنه هو كفاءة ذاتية و محرك أساسي لهذه الحياة، إذ انبغى الالتفات إلى الإنسان عبر مفهوم الاقتدار في بعده الوجودي؛ حيث تحليل مصطلح القلق الذي يشير في جانب من جوانبه إلى التشاؤم، هذا الذي يحملنا على تحليل مفهوم التفاؤل باعتباره الوجه النقيض؛ فالتفاؤل كما تعرفه المعاجم، هو تلك النزعة للنظر إلى الجانب المشرق من الأوضاع، و إلى توقع أفضل النتائج من أي تتابع للأحداث، وتعتبر النزعة في مفهوم التفاؤل ذات تفكير إيجابي مبادر، يمكن تنشئته، و قد ذهب رواد علم النفس الإيجابي إلى طرح مفهوم الاقتدار (Capacité) كمفهوم جوهري في صلته بالتفاؤل و الأمل و الكفاءة الكلية للشخصية، وفي مقوماته الأساسية المرتبطة بالفاعلية الذاتية و الجماعية و بالمرونة الاستيعابية و الذكاء العاطفي (حجازي، 2008)

يعطينا مفهوم الانعكاس، من وجهة نظري، قراءة تركيبية في اتجاهي التحليل النفسي، اللاوعي / إعادة الذات إلى ذاتها، هذا التركيب الذي يتسجل تفاعل مقاربات الاقتدار، حيث توليف المتناقضين، بالطرح الهيجلي، يصير منهجية؛ تدعم أفكار الموالين للتحليل النفسي، في رؤيتهم الإنسانية لهذا العلم، ومثالهم الحديث إريك فروم (Erick Fromm)، في هذه القراءة، حيث إعادة الذات إلى ذاتها ترتد إلى الذات ذاتها، هذا الانعكاس الذي يشكل قاعدة اشتغال في البعد السياقي، وهو بذلك توليف حتمي تفاعلي في هذه المقاربات. تدعم إيلن بركايد وجهة نظر فروم في رؤيتها الاقتدار الإنساني الأكبر هو الناس الآخرون، لكن فروم في مرافعته عن الانعكاس، يتجاوز الانغراس في السياق بالعودة إلى الذات، لذلك نجده في كتابته "فن الإصغاء" يشترط فهم الذات من أجل فهم الآخر؛ يستتر في هذا الاشتراط فهم التعالق الذي يجعل من التناظر، في فهم الذات، ضرورة لعلاقة الانعكاس، هذا الذي يعني أن السياق متغير رئيس في علم النفس الإنساني، حيث لا يمكن تصور الاقتدار والكفاءة خارجه. ويذهب كل من كابرار و سيرفون مذهب نانسي كانتور في الاعتبار المنهجي المتجاوز المقاربات الأحادية الثابتية التي ترى عزل الفرد عن سياقه وحدة كلية تقوم بذاتها، وأن السياق الاجتماعي التاريخي غير ذي اعتبار في كشف الخصائص الإنسانية، حيث يعتبران بحث القضايا في معزل عن السياقات الكلية انسلاخا منهجيا، فالتحول من النقيض إلى النقيض (من السلبية إلى الإيجابية في هذا المقام) ينحرف عن محددات الوظيفة الإنسانية.

في سياق المقاربات التي ذكرها مصطفى حجازي في مؤلفه "إطلاق طاقات الحياة، قراءات في علم النفس الإيجابي"، المقاربة السيميائية، في تحليلها الاقتدار، يستوقفنا المحدد البيئي، في عبارة وضع أدوات لتعزيز خصائص الاقتدار، بعرض قائمة من الصفات الشخصية والسلوكية الإيجابية ليختار منها، ما ينطبق على وضعه، وكتابتها والعودة إليها تكرارا، لترسيخ الوعي بها، ومن ثمة تمثيلها، حيث كتب: "فالعديد من الباحثين ممن ساروا على درب سليغمان وبيترسون وضعوا أدوات لتعزيز خصائص الاقتدار تمثلت في عرض قائمة من الصفات الشخصية والسلوكية الإيجابية مستمدة من القواميس، يطلب إلى المفحوص أن يختار منها ما ينطبق على وضعه، ثم كتابته في قائمة والعودة إليها تكرارا لترسيخ وعيه بها وصولا إلى تمثيلها... (حجازي، 2012، ص: 195)؛ و هو في نظرنا، باعتباره محددًا بيئيًا يضع الذات في الآلية والسلبية، يتعارض مع مفاهيم علم النفس الإيجابي في مقابلته علم النفس السلبى، هذا من زاوية، ومن زاوية أخرى، نجد أن الدلالة الصرفية في اللغة العربية لكلمة "اقتدار" تتعارض مع مفاهيم السلوكية وأدواتها التعزيزية لخصائصه، فهي، أي الدلالة، تعني التصرف والاجتهاد والطلب، ويراها الجرادات في دلالتها الحقيقية، بمعنى قصد الفاعل إلى الفعل من ذاته، والعمد إليه، أي أن اقتدر فيها معنى قدر، زيادة على العمد

في تبادل؛ على خلاف سليجمان الذي رافع على أن الاقتدرات موضوع سمات ينمى في بناء الإنسان لوجوده وإعطائه معنى له، وصنف هذه الاقتدرات في: الاقتدرات المعرفية، اقتدرات الشجاعة، اقتدرات الحس الإنساني، اقتدار العدالة، اقتدار الاعتدال، اقتدار التسامي، حيث هذا الأخير يتغى أبعاد التفاؤل والأمل والعقيدة في الحياة.

وإذا كانت سمات الشخصية ذات أثر في علم النفس الإيجابي فإن موضوع السياق الاجتماعي يأخذ بعدا آخر، ذلك أن الاقتدار لا ينقص، كونه ظاهرة تستهدف البقاء في كينونة اجتماعية تصب في صنف المواطنة والحس المدني المنطوي في اقتدرات العدالة، حسب صنافه سليجمان؛ وتدعم كل من إيلن بركايد و نانسي كانتور وكابرار و سيرفون أطروحة التفاعلات بين الشخصية والسياقية كونها، أي التفاعلات، عاملا قويا وحاسما في بناء الاقتدار الإنساني. ويعتبر التفكير الإيجابي جانبا بارزا في بناء مفهوم الاقتدار، فهو الأداة الأكثر فاعلية في التعامل مع تعقيدات الحياة وتحدياتها، ومن ثمة فإن التفكير الإيجابي هو أبعد من كونه منهجية، باعتباره مصدر تعبئة للطاقات من أجل تخطي المشكلات في تلك العلاقة التفاعلية بين السلبيات والإيجابيات، ولعل رؤية جوديث بتلر (Judith Butler)⁽³⁾، أن كل خداع يطلق مباشرة فهما أوسع للحقيقة، يتيح التعالي على الخداع... وبصرف النظر عن عدد المرات التي ينحل بها عالم الذات فإنها تبقى قادرة بشكل لانهائي على تكوين عالم جديد؛ إنها تعاني السلبى لكنه لا يستطيع أبدا أن يبتلعها تماما (بتلر، 2014).

في الواقع، لا تفعل المعاناة إلا تدعيم قدراتها التركيبية. السلبى دائما وحصرًا مفيد، فهو لا يكون مدمرا بأي معنى نهائي، وهي بهذا، أي الفكرة، تتبنى رأي نيتشه (Nietzsche) في أن الحقيقة ليست نقيض الخطأ، بل هي في كثير من الأحيان وضع الأخطاء في علاقة بعضها ببعض. إن الذي يميز رواية هيجل (Hegel)، في سياق التركيب، هو تفاعل الرغبة، القوة، الوعي الذاتي، التفسير، اللغة، الانعكاسية في اكتشاف الذات لنفسها بفعل حافز الرغبة (رحيم، 2014). يستجلب حضور السلبى في بناء الإيجابية القراءات النقدية التي تحد من المطلقية، من قبيل العودة إلى الواقع، بحسب ما تسميها باربرا إس هيلد (Barbara. S Held) "في مجابهة استبداد الاتجاه الإيجابي في أمريكا" (العقيل، 2017). يحيل نقد الاتجاه الاستبدادي إلى نقطتين: (أ) السلبية تجاه السلبية ذاتها، (ب) السلبية الظاهرة في النوع الخاطئ من الإيجابية. يشتق هذا النقد من الموجة الانفصالية لهذا الاتجاه، وهي موجة تخضع لمساءلة المعرفة، في تطورها؛ تأخذ موجات العلم الصورة التكاملية في المعرفة، مما يعني أن الفصل في التحليل يعد قصورا، يحجب الرؤية الكاملة للظواهر، فالسلوك محصلة الحتميات (البيولوجية، البيئية، الإنسانية...).

كما يركزون على الفرص التي تحمل امكانياتهم بغية استثمارها في تجاوز المشكلات. أما على مستوى الدافعية، فهم يضعون أهدافا تشكل تحديات لقدراتهم ومهارتهم، ويتمتعون بدرجات مرتفعة من التفاؤل حيث يردون الفشل والاضاقت إلى حالات انتكاس عابرة، علتها عدم مراجعة أسباب النجاح و رهاناتها، سوء تخطيط لا يقلل من عزيمة المثابرة؛ في حين على صعيد الانفعالات يميل ذوو الفاعلية الذاتية العالية إلى تنظيم الحالات الانفعالية من خلال ممارسة ضوابط على تفاقم القلق و التركيز على الحلول الممكنة، و يعتمدون الآليات الانفعالية من تفريغ و السعي إلى المساندة العاطفية، كما تعزز الفاعلية نظام المناعة، مما يؤدي إلى مرونة تلاؤمية أعلى في مجابهة التعقيدات، وترتبط بمركز الضبط الداخلي الذي يسمح بإمكانية التحكم والاستقلالية في القرار و المرجعية، عكس الضبط الخارجي الذي يعطي للاعتبارات الخارجية فرص السيطرة على الفرد.

يرتكز الاقتدار على الذكاء العاطفي (Intelligence émotionnelle) في مقابل الذكاء العقلي، وبعيدا عن تعدد تعاريفه، فهو لا يخرج عن كونه مقدرة في التعرف على الانفعالات المختلفة وفهمها، بمعنى أنه تلك المقدرة على إدارة الانفعالات؛ ولعل أنسب تعريف في مناسبه للمقام، ما حدده جولمان (Goleman) في كتابه الذكاء العاطفي حيث وسمه بالسمه التي تتضمن التحكم بالذات والحماسه والدافعية الذاتية و المثابرة و القدرة على حصر النفس، و القدرة على قراءة عواطف الغير، والتعامل بسهولة مع العلاقات (الجبالي، 2000). ويذهب جولمان إلى أن للذكاء العاطفي أبعادا تبدأ بالوعي بالعواطف الذاتية؛ هذا البعد الذي يعد الحجر الأساس، أين يعرف الفرد عواطفه المتمثلة بقدرة التعرف على المشاعر، هذه المقدرة التي تسمح ببلوغ بعد التعاطف الممكن من وعي الفرد بعواطف الآخرين عبر التناغم مع الإشارات الاجتماعية الواردة من الأفراد والتي تبين حاجاتهم ورغباتهم، مروراً بإدارة العواطف وحصر الذات من خلال إرجاء الإشباع والاندفاع، و يوسع بار - أون (Bar - On) في قراءة أشمل بفعل التواشج بين البعدين الاجتماعي و العاطفي، مفهوم الذكاء العاطفي إلى ذكاء عاطفي اجتماعي، ويرى بهذا التمديد المفهومي أن التعامل مع المتطلبات اليومية تقتضي أن نحدد، عمليا، الكيفية التي نفهم بها ذواتنا ونعبر عنها، ونفهم ذوات الغير ونتواصل معهم (حجازي، 2012). يسمح هذا التمديد المفهومي بالانعكاس، بتجاوز التفاضل بين السلبية والإيجابية في فهم الذات عبر فهم ذوات الناس الآخرين، ذلك لأن سيكولوجية الاقتدار تقتضي فحص الأوجه السلبية لحالة إيجابية، كما تقتضي فحص الأوجه الإيجابية لحالة سلبية، يحيلنا هذا الانسلاخ إلى القوى التي أسست عليها باربارا إس هيلد قراءتها النقدية لمبالغة الإيجابيين في حجب كل سلبي، السلبية في اتجاه ذاتها و في اتجاه النوع غير السليم من الإيجابية، فضلا

إلى الفعل من الذات و القصد إليه (الجرادات، 2019)، دلالة، من وجهة نظري، تشي بالإرادة في الفعل، تخرج عن السلبية، إذا سلمنا، ضمنا للنقاش، أن علم النفس يتفرع إلى سلبي و إيجابي، تبعا لمحددات السلوك، وهو تفرع ينال في طبيعة الكلية الإنسانية التي لا تقبل التجزئ (سيأتي بيانها في العناوين اللاحقة). هذه الدلالة التي تتوافق مع المقاربة السياقية في طرحها لأبعاد الاقتدار الإنساني المتفاعلة في تكوين منظور تكاملي من المجابهة و المثابرة، العزوف، و النمو.

4. في بناء الاقتدار

يطرح علم النفس الإيجابي صورة مخالفة للطرح الذي يضيق بناء السلوك في محددات خارجة عن الذات، ويجعل محور البناء في القدرة و الاعتقاد و المفاهيم المدركة عن الذات، فيحول بهذا زمام المصير بيد الفرد عبر الاقتدار المعرفية و النفسية و الاجتماعية؛ حيث تصنع هذه الاقتدارات متشابكة شخصية متينة، بناؤها تلك القدرات الذهنية القادرة على التعامل مع قضايا الحياة بإيجابية و فعالية، أين يتجلى هذا البناء في اقتدار اجتماعي يتمثل في القيادة و المشاركة و الانتماء، وإلى التفتح الإنساني (حجازي، 2012). وإذا كان الاقتدار يتمثل في الممارسة الناجحة لقوانا الذاتية على الواقع، سواء بالمجابهة أو بالتغيير، فإن كارفر و سترير يطرحان ثلاثة اقتدارات إنسانية؛ المجابهة و المثابرة، العزوف، و النمو. فالمجابهة و المثابرة تمسان قيمة الأهداف و نظام التوقع في الدافعية، حيث تعبئة الطاقة و المثابرة رهانه الأهداف ذات المعنى و درجة توقع تحقيقها العالية، بيد أنه يجب التحفظ على حصر الاقتدار في المجابهة و المثابرة معزولا عن العزوف، ذلك أن العزوف اقتدار إنساني، كون السبل المسدودة تولج الفرد في أزمت نتيجة تدني الحس الواقعي، و أن الطاقات تستدعي المران و الممارسة، إذ لا يحدث النمو إلا بها.

وبالعودة إلى محور بناء الاقتدار في تلك المفاهيم المرتبطة بالذات، والتي تعد مرتكزا متينا في أساسيات علم النفس الإيجابي، يأتي مفهوم الفاعلية الذاتية (Auto-efficacité) لباندورا (Bandura) في علاقته بالدافعية (Motivation) باعتبار أن الدافعية محكومة بإدراك الفرد لفاعليته، هذا التصور العقلي الذي يكونه الفرد عن نفسه من خلال النجاحات و الإخفاقات، والذي يؤثر على الأفكار و السلوكات المستقبلية؛ حيث تتحول النتائج السابقة التي يتصورها الفرد إلى محددات التوقعات، هذه الأخيرة التي أولاها وينر (Weiner) جوهرية في نظريته التي وسمها بالعزو السببي (Attribution causale) ذلك أن الفرد يميل دائما إلى تعليق النتائج على الأسباب التي تحدث معه (Vallerand، 1985). و للفاعلية الذاتية آثار و نتائج تظهر على مستويات عدة، فعلى المستوى المعرفي يبدي ذووها قدرا عاليا في ابتداء الوسائل و الموارد و في مرونة الاستراتيجيات في تسيير تحديات الحياة، و هم يستخدمون منظورات مستقبلية تنظم حياتهم،

عن قوة أخرى، حيث يلغي فيها الاتجاه الإيجابي مبدأ متينا في الدراسات النفسية المعاصرة، مبدأ الفروق الفردية؛ فهل يتساوى الأفراد في التنشئة الاجتماعية...؟، و هل من العملي أن يتساوى كل الناس في التفاعلات الإيجابية...؟.

5. الأزمة والاقتدار

أحدثت أزمة كورونا مفاهيم في مجتمعات العالم عامة، و صار الحديث على ظاهرة الحجر الصحي موضوعا رئيسيا في قنوات الإعلام و شبكات التواصل الاجتماعي بطريقة أثارت قلق الأفراد من جهة، و سخرتهم من جهة أخرى؛ ولم يظهر دور الإعلام النفسي في جعل جائحة كورونا أمرا طبيعيا، مثله مثل ظاهرة الجمره الخبيثة و العولمة و التكنولوجيا... وغيرها من الظواهر التي تتطلب التكيف، باعتبار أن الحياة مصدر تغيرات و تحولات . و يختلف الحجر من حيث الدلالة ذات الإسقاط الاصطلاحي عن مفاهيم آخر من شأنها أن تنعكس بصورة سلبية على/ في ما يعتقده الأفراد عموما، ولعل كلمة عزل (Isolation) تشي بالمساعدة على الحد من انتشار العدوى مع مراعاة التأثيرات النفسية، حيث أن طول فترة الحجر تولد ضغوطات ينتج عنها إحباط من شأنه أن يولد ظواهر أخطر، و لتجنب - حسب ما أرى - التأثيرات الوخيمة للمصابين و لغير المصابين يستوجب تكيفا سيكولوجيا مع الأزمة، يعطي وجودا لمفاهيم المعنى، الحرية و الإرادة.

و إذا كانت جائحة كورونا قد مست ما يسمى، ببيولوجيا، بالمناعة (Immunité)، فإن الدراسات العلمية قد أكدت ارتباط الكفاءة الذاتية المدركة و الاقتدار على حل المشكلات كمؤشرات للمناعة النفسية، و يعد مفهوم المناعة النفسية⁽⁵⁾ من أقوى مفاهيم علم النفس الإيجابي، و من أحدث المفاهيم في بحوث الصحة النفسية. حيث يذهب (Kagan) إلى أن للإنسان نظام مناعة نفسي يحمي الأفراد من الآثار السلبية للضغوطات الانفعالية على غرار المناعة الحيوية في الجسم، كما هو الشأن عند (Rutter)، كون هذه المناعة النفسية ليست ببناء ثابت في الشخصية، بل تتحسن بوجود عوامل وقائية آخر، مثل الدعم الاجتماعي و مفهوم الذات وتقديرها و كفاءتها (أحمد فتحي ، 2019). . بجرنا تحليل المناعة النفسية إلى قراءة واعية لما يتفق عليه بالجهاز المناعي النفسي، كونه كلية، تشكلها العلاقات المتداخلة بين النفسي و الجسمي و الاجتماعي، حيث يعمل هذا الجهاز على امتصاص مسببات البناء المعرفي غير السليم للأزمات، في ذلك التركيب المعقد الذي يشكله، وبطريقة نسقية؛ بمعنى، أن مفهوم التكيف يستدعي البناء المعرفي، حيث القدرات العقلية للفرد تنهض على مفهوم فطري هو الموازنة، هذه الفطرية التي تعمل في سياق غير فردي، باعتبار التفاعل الذي تكفله المثيرات الاجتماعية عبر بعد التنشئة الاجتماعية الذي يدعم تخطي نظرية السمات في بناء الاقتدار.

يحول بعد الفطرية إلى القدرة النفسية السابقة التي وجودها يضمن هذه الموازنة، و التي تعد قاعدة مناعية في مجابهة الاضطراب، كون هذا الأخير منطلق التنظيمات التي تهدف إلى التكيف الدائم و يرتبط هذا الفعل بمفهوم التمثل، حيث الخبرات السابقة تشكل أس معادلة تعديل، لاستدخال المعطيات الجديدة في البناء المعرفي إن الخبرات السابقة لا تلغي الفروق الفردية الناتجة عن المثيرات الاجتماعية، و التي ترتبط ببعد التنشئة الاجتماعية، و فعل التنشئة الاجتماعية الذي يعتبر قوة من جهة في البناء المعرفي، يستدعي بحث التساؤل في الجانب السلبي لها، بمعنى أن ولوج المناعة الفكرية⁽⁵⁾ والذي يتمثل في المرونة المنهجية، يقتضي تساؤلات تمس الخبرات السابقة في مقامها الحاضر. ينطرح السؤال، في العلاقة بين الفطرية و السياق الاجتماعي، في إجابة تعطي للرؤية التكاملية حق النقاش، في مساءلة التساوي في التفاعلات الإيجابية من جهة، و بعد التنشئة الاجتماعية في الفروق الفردية.

تستجلب التفرقة بين الحقائق و الحقيقة، بتصور الميسيري (انظر مؤلفه " دراسات معرفية في الحداثة الغربية ")، مبدأ الفروق الفردية، كون الإدراك جوهر موضوع الاقتدار، من وجهة نظري؛ ذلك أن حقائق الأزمة تختلف في معالجتها من فرد إلى آخر، حيث تنعكس فيها السمات من جهة، و السياق الاجتماعي من جهة ثانية؛ يطرح الميسيري تفرقة تابعة، بين الموضوعي و الموضوعاتي، و يقدم القدرة على الربط، في جهد عقلي يحول الحقائق إلى حقيقة، بفعل تجريده لنموذج منها، على طرف مناقض لفعل مراكمة المعطيات. و يذهب، دائما في إطار التفرقة، إلى أن مادة البحث تختلف عن عملية البحث، في غاية تجلي في التحليل التفكيكي التركيبي. مما يعني أن مساءلة التساوي في التفاعلات الإيجابية تضع علم النفس الايجابي في صورة محرجة، فالإيجابية لا تأخذ مرجعيتها من فراغ، و إذا استبعدنا، مؤقتا، سؤال ما يوفره السياق في بعد التنشئة الاجتماعية، في تنمية الإيجابية لدى الأفراد، لمناقشة الأساس الفطري، فإن مبدأ الفروق الفردية فيه يستفهم في تنمية الإدراك، في فهم يجعل موضوع الإيجابية يرتد إلى محكاتها؛ هذه المحكات في أصلها البيئي تجعل المواقف / الأزمات محطات ارتكاز متجددة في صناعة الإيجابية، بفعل تحويل السلبي قاعدة اشتغال، كذلك، متجددة، كون الأزمات ملتبسة و غير متكررة بشكل استنساخي.

وبالرجوع إلى تفرقة الميسيري بين الموضوعية و الموضوعاتية في مقاربتها الفارقة، يستوقفنا، في علاقاته بالمواقف، ما يشير إليه المقال بالذكاء الحسي، فالربط يقتضي استبعادا للمثيرات التي تخرج عن العلاقات النسقية المشكّلة لكلية الموقف / الأزمة، والتي هي، أي العلاقات، الحلقة الصلبة في التحليل التفكيكي التركيبي؛ يعني هذا، بما يقابل المقاربة الفارقة الفردية، أن المقاربة السياقية الفارقة، باعتبار أن الفروق الفردية لها منشأ فطري و آخر سياقي، مرجعية في تكوين هذا

أوسع في عملية المواءمة؛ لكن الحديث عن الصحة النفسية في نظرتها الإيجابية المطلقة غير ممكن، كون أننا لا نتعامل مع المثيرات الطبيعية / الاجتماعية بصورة مباشرة، ولكن عن طريق إدراكنا لها، هذه الإدراكات التي تتباين من فرد إلى فرد، ومن ظرف إلى ظرف بالنسبة للفرد الواحد، أي أننا نوفق في حاجة من الحاجات و في رغبة من الرغبات، كما ن فشل بالمقابل، فتتولد لدينا مشاعر السلبية.

في سياق الإدراك الذي يتوسط الذات بالموضوع، و بمقولة عبد الوهاب الميسري التي تفرق بين الموضوعية والموضوعاتية، يعيدنا اجترار السلبية إلى مراجعة أسبابها، فينصرف التفكير في السلبية إلى التفكير بها، بمعالجة الموقف / الأزمة من زوايا أكثر انفتاحا في تفاعل الذات و الموضوع، الأمر الذي يتيح إعادة فحص الربط في التفسير الأحسن (سيأتي بيان مصطلح " أحسن تفسير " في عنوان المناعة الفكرية)؛ يجرنا التفكير بالسلبية إلى التفكير بالفاعلية الذاتية، باعتبارها كينونة لها مصادر نمو، تتمظهر في الاستنساخ بالمحاكاة، لتجارب الآخرين المشابهة، وفي محاكمة الأفكار السلبية عبر مقارنة الفرضيات و النتائج، و في مناقشة الهدف و الفاعلية، من خلال التقويم الذاتي.

6 المناعة الفكرية

المقام الحاضر يستجوب فعل التنشئة الاجتماعية في صورته السلبية، عبر البناء المعرفي، فإذا كان هذا البناء يأخذ مرجعيته من العمليات العقلية، والتي تمثلها المدرسة الوظيفية، و من الإدراك و الفهم في صورة الخلفية الجشطاطية؛ فإن مراجعة البعد الإنساني في التحول من السلبية إلى الإيجابية يطرح استفهاما يناقش إيجابية السلبية يقدم أسعد الشمري، في سياق البعد المعرفي، تبنيًا للمناعة الفكرية باعتبارها منظومة فرضية داخلية، تحدد طريقة التعامل مع المواقف، لجعل المقاومة الذاتية مفعلة، مما يشكل طريقة خاصة للتعامل و النظرة الاستشرافية للأحداث، حيث بناء واق من الوقوع في الخطأ (الشمري، 2020)؛ يعني هذا أن الأساس المنهجي يشكل جوهر المناعة الفكرية في أنها و بعدها. يشي هذا الاعتبار بأبعاد، تنطلق من تحول، يجعل من السلبية وضعية اشتغال، يروم تفعيل المقاومة في رؤية فردية، تأخذ تفاعل المقاربة السيمائية و السياقية مرجعية منهجية. يسقط صاحب أسعد الشمري، في بيانه المناعة الفكرية، المرجعية البيولوجية في نوعيتها الفطري و المكتسب، سيكون لنظام المناعة الفكرية، تبعاً للإسقاط، أساس فطري يتمظهر في أسلوب التفكير الذاتي و السمات التي توظف في فعل المقاومة للمتغيرات الحادثة على الذات، و أساس مكتسب يتجاوز من وجهة نظري، ما حصره أسعد الشمري في القيم و الأعراف و التقاليد و كل العادات السلوكية المكتسبة بالبيئة الاجتماعية، إلى النقد/ التقويض من خلفية الإدراك لجوهر السلبية.

الذكاء الحسي الذي لا يشتغل بأسلوب خطي، أي أن المقاربة النفسية تستدعي الانعكاسات المتبادلة في الذكاءات التي ترتد في التركيب أو التوليف؛ إن الانعكاسات المتبادلة في الذكاءات، تحيلنا إلى طرح انعكاس الأزمة في العاطفة، حيث آثار طغيان الانفعال في مجابهتها يتبعه نكوص على مستوى عقلانية الأشياء، وفي هذه العلاقة تتجلى آليات الاقتدار، و يبرز البعد من الدافعية، بمفاهيم العجز المكتسب و العزو السببي...، وهي مفاهيم تعالج في حدود السلبية، تمنع من تحويل السلبيات إلى خارج الذات (البيئة الطبيعية و الاجتماعية) في تجاه الاعتبارية اللامنطقية التي تصنف السلبية في تواز مع الإيجابية تصنف يحجب الفعل النقدي لمفهوم الإيجابية و بنائها، و الفعل التحليلي لمفهوم السلبية و اجترارها.

تفترض مناقشة إيجابية السلبية في سيكولوجية الاقتدار بحث مدى انسحاب صدى الإيجابية في إفرازات السلبي، الأمر الذي يجعل من السلوك التشاؤمي، كتابع، مرجعية دفاعية في مجابهة المواقف / الأزمات، تمكن الفرد من وضع استراتيجيات تسعى في التكيف و المعاشية، و في هذا التشاؤم الدفاعي مقاس يراعي مبدأ الفارقة، يقابل مبدأ الإطلاق في نسبة النتائج الإيجابية؛ وهو قصور ينضاف إلى قصورات علم النفس الإيجابي في الرؤية السلبية للسلبي، وفي تضيق البعد البنائي للحياة السعيدة، أكدته المقاربة السياقية في أبعاد الاقتدار (العزوف)، كون أن التراجع و الانسحاب في وضعيات معقدة و مسدودة الحلول يعد ذكاء تكيفي، تتبدل معه الأهداف و الوسائل في إدراك كلي يتخطى الإدراك الجزئي، و في اقتدار فعلي، ينفي صفة العجز المكتسب الذي أسس عليه سليفمان مفاهيم علم النفس الإيجابي في رؤيته الانفصالية عن مفهوم السلبية، ويرسي مناعة فكرية، هذه البدائية البناءة (كما يصفها مصطفى حجازي) تسمح بالتكيف المتجدد، وهو ما يلائم المتغيرات المتجددة، و ما تحمله من أزمات تتطلب مجابته المعنى و الإرادة.

يحيلنا ربط الأزمة بالاقتدار إلى تحديث مفهوم الصحة النفسية، ذلك لأن المفاهيم تتبع المتغيرات الحاصلة، ليس في تطور المعرفة فحسب، بل في المجتمع و تطوره، و تغير نظرتها إلى الظواهر النفسية، يعيدنا هذا التحديث إلى نظرتين، نظرة تضيق المفهوم لاقتصارها على الحالات غير السوية، لكن الأزمة تنسحب من المرض النفسي أو العقلي إلى أزمة آثار الإخفاق أو الإخفاقات المتوالية، و من ثمة إلى نظرة مخالفة تجعل السواء يوسع المفهوم - في شكل لا يسمح بثبات السلوك في الاضطرابات اللامحسوبة - فيأخذ بذلك مبادئ آخر، تتعلق بالاعتقاد في الفاعلية في حدود الطبيعتين الفردية و الاجتماعية؛ مما يعني أن التحديث يصيب التكيف و التوافق النفسي في تجاه الراحة و استبعاد التشاؤم، و ما ينتج عنه من ضغوطات و أزمات نفسية، يتجاوز علاجها التصورات و الخرائط الذهنية إلى الخرائط العاطفية، وإلى التفاعل الحسي مع البيئة، باعتبار أن الكائنات القادرة على البقاء أكثر هي التي لها صلاحية

(المنعكس من الخبرات السلبية ، وتمتد منه إلى الطبيعة النسقية للموقف . يكشف هذا الارتداد / الارتباط تواشج الأبعاد و الرهانات ، فالمناعة الفكرية ، حسب أسعد الشمري ، تنغي مبلغا يشغل بشكل غير تسلسلي ، يمنح الفرد من / في معالجته المواقف سمات تلحق بالتفكير مقدرات تتمظهر في ما اتفقنا عليه بمفاتيح المفهوم ؛ فالتعامل مع الموقف / الأزمة بصورة غير تقليدية يمنح الفرد مقدرة الاستقلالية ، حيث البناء الفكري يخضع للتغيرات البيئية ، في تبادل التأثير و التأثير ، ينعكس في سلوك المقاومة و التصدي له ، وهو ما يسمح بالمقدرة الاستشرافية ؛ وهنا ، توقفنا مساءلة الرهانات التي تجعل من المناعة كينونة تفكير.

تحيل هذه المسألة إلى اتجاهات بحث، اتجاه يستحضر منظومة المناعة الفكرية وآليات عملها ، وهذا يرتد في البناء العقلي للسعي في حالة التوازن ، لتخطي التعارضات التي تعرقل فعل المقاومة ، واتجاه ثان يتمثل في المواقف التي تحدث ما يسمى بالتناظر المعرفي (Dissonance cognitive) لبناء فعل الاستشراف ، واتجاه يربط الاتجاهين السابقين بمفهوم الإدراك ، حيث تجاوز التناقضات الحاصلة في المواقف يرتبط بقضيتي ، التوقع و القيمة ، بمعنى أن التوازن رهين الإدراك من جهة نسبية للتناقض ، ومن جهة أهميته . إن الإدراك ، بهذا الطرح ، له مرجعية تظهر في أسس المدخل المنهجي ، فأولها النموذج التصوري الذي يعمل موجهاً له ، وثانيها التحليل الذي يناقش الفكر في انتقاء و تنظيم و ربط المعطيات ، وثالثها التفسير . يدعم متغير الإدراك (في بناء الاقتدار) سؤال الفروق الفردية في التنشئة الاجتماعية و التساوي في التفاعلات الإيجابية ، مما يجعل مجال المناعة الفكرية مجالاً تميزاً ذاتياً ، مرجعيته النظرية المعرفية البيئية . توظف التفسير ، باعتبار الكينونة ، بسياقات متعددة (سوسيو ثقافية ، سوسيو تاريخية ...) ، تحرك النموذج التصوري في نسق جدلي ، دعامة الوعي و الإرادة ، و يمد المناعة الفكرية بمقاومة تتجاوز الاضطراب المنهجي ، القصور الجدلي ، و الخصاء الذهني ⁽⁶⁾ (كما يسميه مصطفى حجازي في مؤلفه " التخلف الاجتماعي ، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ") في معالجة الظواهر البيئية (المادية / الاجتماعية).

يستحضر النسق الجدلي ، بطرح باربارا إس هيلد ، الرؤية النقدية / التقويمية للحركة الانفصالية في علم النفس الإيجابي ، ذلك لأنه يحيلنا ، من وجهة نظري ، إلحاق الإيجابية بعلم النفس ، إلى تصور علم نفس سلبي ، يجعل من المحددات البيولوجية و البيئية في مقابلة المحددات الإنسانية ، مقابلة تجعل من الكلية في وحدتها النفسية محل تجزئ ؛ لكن النسق الجدلي في تركيبه لتصارع النقيضين ، السلبي و الإيجابي ، يتم في إطار فعل هذه الكلية في تفاعلها البيئي ، حيث تبحث أسبابه في العلاقة بين الانفعالية و العقلانية ، مما يعني أن التوتر ، تجاه معالجة الأزمة ، يفعل تعطيلاً في بناء الذكاء العقلي و العاطفي ، يحل في إطار تفاعل الذكاءات

إن العلاقة النفس / بيولوجية ، في استحضارها تصورات الذات للأزمة وتفسيراتها لها ، تبدو قاصرة في حالة تغييب البعد المنهجي ، ذلك أن الاقتدار كونه إرادة في الحياة لا يكتمل بالصور السلوكية التي تتوسل بالتنويم الإيحائي (على سبيل المثال) و كل ما يخدم أسباب التخلص / التقليل من ضغوطات الأزمات ، ورغم تدعيم هذه الصور السلوكية بالبعد المعرفي إلا أن هذا المنهج يبقى متمركزاً على غير العميل في تعديل الخارطة الذهنية ؛ والدليل على هذا القصور يأتي من الموقف الطبيعي الذي لا تتجزأ فيه المعالجة ، هذا السياق الحتمي (الفرد البيولوجي ، البيئي ، الفرد الإنساني) يولد منهجاً من تبادل أوجهه ، كون أن التفاعل بين الصور العقلية و الانفعالية لا يكون خارج الصور الحسية . تطرح هذه الكلية استفهاماً يبحث العلاقة النسقية بين مكوناتها (الذكاء العقلي ، الذكاء العاطفي ، الذكاء الحسي) ، فالتنظيم الانفعالي القائم على تحديد الأهداف غير كاف في تحقيقها مما يجعل التنظيم العقلي يسعى في الوسائل ، في إطار هذه العلاقة ؛ تشكل مكونات علم النفس الإيجابي (الخبرة الذاتية الإيجابية ، السمات الفردية الإيجابية ، و الأساس الذي يمكنهما) حق التساؤل في بحث دور علم النفس (بكل محدداته) في تشكيل هذه المكونات ، ومن ثمة ، هل يمكن دراسة الخبرة الذاتية الإيجابية دون استحضار الخبرة الذاتية السلبية ؟ و هل يمكن دراسة تشكيل السمات الفردية الإيجابية خارج هذا الاستحضار ؟ ، بمعنى آخر ، هل يمكن تغييب محركات تشكل مكونات علم النفس الإيجابي ؟.

تساؤلات تتجاوز تحليل باربارا إس هيلد في نوعي السلبية ، السلبية تجاه السلبية ذاتها و السلبية حول النوع الخاطئ ، إلى كيفية بناء الإيجابية ، وهو ما يخدم ، في تصوري ، بيان دواعي إلحاق المناعة بالفكر في سياق منهجي خالص ، فتحليلها انحصر في نقاش الصور التشارؤية مقابل التفاضلية ؛ يعطينا البعد المنهجي تصوراً لإشكالية السؤال الجوهرية ، كما وصفته ، في جعل من يميل إلى السلبية (طبعاً و / أو تطبعاً) ينمي مزيداً من الإيجابية ، وهذا في الاتجاه الأكثر إيجابية صوب الحركة الإقصائية ؛ يقابل هذه الإقصائية ، منهجياً ، مفهوم المقاربة (Approche) أو الاقتراب ، وهو الإطار النظري للبحث ، حيث المقارنة النظرية توظف الفكر ، وتستدعي الاشتغال على المعايير التي تعد ضابطاً له ، تسمح هذه المقارنة بتناول خاص أو بانتهاج مقاربة منهجية (Approche Méthodologique) ، كون هذه الأخيرة تنبني على تصورات رؤية الواقع و تناول ظواهره و نظمه و مراجعة الأنساق النظرية المصاغة حوله ، يصل بين الأساليب العملية التقنية و الإطار المرجعي النظري للاقتراب المتبصر من الواقع ، هذا المدخل المنهجي في تحليل المناعة الفكرية يرتد ، بأسسه التي ترتبط بمفاتيح المفهوم (التعامل مع الموقف ، المقاومة ، الاستشراف) ، إلى معالجة الموقف / الأزمة ، و التي تنبني على النموذج التصوري (مجموعة التصورات الخاصة

الأصل الفطري والاجتماعي و الوصول إلى أحسن تفسير للظواهر والمواقف والأزمات .

خاتمة

تتغى فكرة المقال بعدا إنسانيا ، يتجاوز مفهومي السلبية والإيجابية في صورتها المتناقضة خطأ ، في توليف يجعل من المواقف والأزمات قاعدة متجددة في بناء مناعة فكرية، جوهرها منهجية فريدة تأخذ من السلبية قوتها في مجابهات البيئة (الطبيعية والاجتماعية) الملتبسة، حيث أرى في مصطلح علم النفس الإيجابي في مقابلته علم النفس السلبي تجزئنا لكلية الفرد، حيث لا معنى لمحددات بيولوجية، وأخرى بيئية، خارج هذه الكلية الإنسانية، التي يشكلها العقل والحس والعاطفة، بشكل غير خطي، يشغل وفق نظام، في مقارنة نسقية، تعطي للبعد الإنساني قيمة وجودية، تؤسس سيكولوجية الاقتدار.

تضارب المصالح

يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

- المصادر والمراجع

- بتلر، جوديث، 2014، الذات تصف نفسها، ترجمة فلاح رحيم، (ط 1)، بيروت، التنوير للطباعة والنشر.
- جولمان، دانييل، (2000)، الذكاء العاطفي، ترجمة: ليلى الجبالي، الكويت، عالم المعرفة.
- حجازي، مصطفى، (2012)، إطلاق طاقات الحياة: قراءات في علم النفس الإيجابي، بيروت، التنوير للطباعة.
- صفوان، مصطفى، (2008)، الكلام أو الموت، ترجمة مصطفى حجازي، (ط 1)، بيروت، المنظمة العربية للترجمة والنشر.
- الجرادات، خليفه، (جوان، 2019)، الدلالة الصرفية الجوهرية لصيغة افتعل، https://www.researchgate.net/profile/Khalaf-Jaradat/publication/333798964_alldalt_alsrft_aljwhryt_lsyght_aftl/ks/5d04d8d992851c90043cf585/alldalt-alsrft-aljwhryt-lsyght-aftl.pdf?origin=publication_detail
- الشمري، صاحب، (2020)، المناعة الفكرية في ضوء النظرية المعرفية، (ط 1)، العراق، دار الرسالة للطبع والنشر.
- الميسري، عبد الوهاب، (2006)، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية.
- العقيلي، خولة، (2017)، الجانب السلبي في علم النفس الإيجابي، <https://hekma.org/wp-content/uploads/201711/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%86%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%A8%D9%8A-%D9%81%D8%A8%D9%84%D8%A5%D9%8A%D8%AC%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A.pdf>
- فتحى، ناهد، (2019)، الكفاءة الذاتية المدركة والقدرة على حل المشكلات والتوجه نحو الهدف كمنشآت بالمناعة النفسية لدى المتفوقين دراسيا (المكونات العاملية لمقياس المناعة النفسية)، مجلة دراسات نفسية، مج 29، العدد 3، ص 549-618.

Vallerand, Robert. J. (1985). concepts et théories en attribution. Revue québécoise de psychologie. Vol 6, no 2. pp. 114-139.

(العقلي، العاطفي، الحسي) بفعل الانعكاسات، هذه الانعكاسات تأخذ السلبي أساسا في التحليل، من خلال علاقته التناظرية / اللانقيضية بالإيجابي. يردنا مفهوم التحليل، بحضور الإدراك، إلى الاتجاه الثالث في بحث مسألة الرهانات في المناعة الفكرية. فالتحليل لا يوظف فعل التفسير، بشكل مباشر، فهو يمر بعملية التركيب (التوليف)، وبشكل أدق، يصير النسق مقارنة، القدرة على الربط وإعادة الترتيب في اتجاه تأسيس فكر نقدي يفك اللبس في الصيغ السابقة، ويسمح ببناء صيغ متجددة.

يفرض هذا التأطير مناقشة السياقات المتعددة في تشكيلها الذات العارفة، مما يعني أن طرح الموضوع في علاقته بالذات، هو طرح إدراكي، يتجاوز ثنائية الموضوعية والذاتية إلى درجة التفسير (برؤية عبد الوهاب الميسري)، كونه، أي الإدراك، يربط بين موضوع قائم في حد ذاته وذات مستقلة عنه؛ يقول الميسري، في قراءة نقدية لمصطلحي الذاتية والموضوعية، "إن الموضوعية الاجتهادية التفسيرية تنمرد على كل من الموضوعية المتلقية والذاتية المغلقة، فهي تنطلق من تقبل ثنائية الإنسان والطبيعة / المادة، وبالتالي ثنائية الذات والموضوع، ولا تحاول إلغاؤهما وإنما تحاول الوصول إلى المنطقة التي تلتقي فيها الذات بالموضوع، فهي تستعيد الفاعل الإنساني في كل ثنائياته: في قوته وضعفه، وفي نبه وخسته، وفي حدوده وقدراته، وفي خضوعه لجسده وتجاوزه له" (الميسري، 2006، ص 378). يجزئني تحليل هذه المقولة إلى مساءلتها في فكرتين، فكرة ثنائية الذاتية والموضوعية ومنطقة تلاقيهما، حيث، من وجهة نظري، أن مفهوم الإدراك هو منطقة التلاقي، ومن ثمة لا معنى لمفهوم الثنائية، باعتبار الكلية التي لا تقبل التجزئة، وأن فعل الكلية في تفاعلها البيئي هو موضوع التقابلات (الإيجابي والسلبي، القوة والضعف...)، في شكلها غير المتناقض، كون تشكل كل مقابل هو انسلاخ متبادل، مثل انسلاخ الليل من النهار، فالأرض تدور حول محورها، مع أن الأرض هي الأرض لشخصين، أحدهما في منطقة مقابلة للشمس، والأخرى محجوبة، ولأن حركة الأرض حول الشمس بطيئة جدا، يحدث التعاقب بشكل تدريجي، كذلك الأرض موضوع، لكن إدراك الشخصين ليس واحدا، فأحدهما يدرك النهار، والآخر يدرك الليل، أي أن ثنائية الليل والنهار تابعة للإدراك، وليس للواقع؛ يطرح الميسري في بديل الموضوعية والذاتية ثنائية، أقل تفسيرية وأكثر تفسيرية، وهي ثنائية متدرجة، مما يعني أن هذه التدريجات، باستحضار مبدأ الفروق الفردية، وحسب رأي، تحتويها عبارة "أحسن تفسير" تجاوزا لبديلي الميسري وهذا، على الأقل، من زاوية سيكولوجية.

تعطينا عبارة "أحسن تفسير" قراءة في معالجة الإيجابي بالسلبي، ذلك أن معالجة الحقائق معالجة متجددة تقود الفرد إلى تحسين تفسير المواقف في تكامل نظريتي الاقتدار، وفي هذه العبارة اعتبار عال لمبدأ الفروق الفردية في أصلها،

الهوامش

1- سيكولوجية الاقتدار ، مصطلح رأيت أنه يفك اللبس في علم النفس الإيجابي، كون أن الإيجابية تعني قيام علم النفس السليبي ، هذا الذي يجعل من كليات الفرد

في تجزئة غير مسوغ ، فالمحددات البيولوجية و البيئية التي سيطرت على قراءات التحليل النفسي ونظريات التعلم السلوكية ، أهملت البعد الإنساني ، حيث الفعل السليبي والفعل الإيجابي نتيجة فعل الكلية في تفاعلها البيئي ، بشقيها الطبيعي والاجتماعي ، مما يعني أن الاقتدار أساسه التوليف بين السليبي والإيجابي ، بمقولة باربارا هيد : إيجابية السليبي ، حيث الإيجابي هو آثار استبصارات من المواقف والأزمات ، هذا الذي يفترض ، من وجهة نظري ، تحديث مصطلح علم النفس الإيجابي ، بمصطلح سيكولوجية الاقتدار ، لما تحمله الدلالة الصرفية لصيغة "اقتدار" من معان ، حسب مناسبة السياق (الاجتهاد والطلب والتصرف والمباغة في معنى الفعل) ، ولتخطي مصطلحي السلبية والإيجابية في علم النفس .

2- جان لابانش (1924 / 2012) فيلسوف وعالم تحليل نفسي فرنسي، ومترجم أعمال فرويد كاملة إلى الفرنسية ، من مؤلفاته Vie et mort en psychanalyse (1970). بحث ما أغفله فرويد من دراسة الآثار التي يخلفها الآخر في الذات ، واشتغل بذلك على نظرية الغاوية ، فكرة الحياة والموت تحيل إلى مناقشة المقابلات التي تبدو في البداية متناقضات ، مثل السليبي في نقيضه للإيجابي ، وهو ما قامت عليه الرؤى التي تبحث إيجابية السلبية في طرح يسمو على مبدأ التناقض، بمقولة هيجل : الحقيقة ليست نقيض الخطأ ، وهو فضلا عن اهتمامه بالمفهوم الفرويدي لشموليته وعالميته ، يرى في الفلسفة فكرا يشتغل على السلبية ، في اهتمامه بالمفهوم الهيجلي ، أيضا .

3- استلت جوديث بتلر - أمريكية مهتمة بالفلسفة النسوية - العبارة من كتابها " موضوعات الرغبة : تأملات هيغلية في فرنسا القرن العشرين : أين قدم هيجل الذات في صورة بطل يتفاعل مع مصيره وصيرورته ، فهو بعد كل محنة إشكالية يعيد ترتيب نفسه من جديد محملا باستبصارات جديدة يعتقد أنها قادرة على تحاشيه للمزيد من المحن ، تعد بتلر فيلسوفة النوع والهوية والنقد المعاصر .

4- يرتبط مفهوم المناعة النفسية بتوجه من توجهات علم النفس الإيجابي الذي يجعل من علم النفس المناعي تخصصا يرسى قواعده انطلاقا في أبعاد الصحة النفسية ، ويتغى دراسة التفاعلات بين العمليات النفسية والجهاز العصبي والمناعي، أين يفترض بحث اشتغال المناعة النفسية وفق مبدأ طبيعي بيولوجي.

5- المناعة الفكرية ، يرتبط المصطلح بالمناعة النفسية ، يبحث كيفية تكوين الصور الأسلم لمجريات الواقع ، في رؤية أخذتها من عنوان كتاب " المناعة الفكرية ومقولات أخرى " لـ عبد الكريم بكار ، حيث عدلت من سؤاله : كيف تكون صورة معتدلة لمجريات الواقع ؟.. ، باعتبار أن الاعتدال فكرة نسبية مقارنة بعبارة "الأسلم" ، وهذا تماشيا مع عبارة " أسلم تفسير " التي رأيت أنها أنسب من عبارتي عبد الوهاب الميسيري (الأقل تفسير و الأكثر تفسير) في حجة ضمنيتها في ثانيا العنوان الموسوم بالمناعة الفكرية.

6- حسب مصطفى حجازي ، هو نوع من الصد للقدرة على الفهم ، يرتبط بالشعور بالعجز عن إثبات الذات في مواجهة العالم ، أسقطته على المناعة الفكرية في بعدها ذي الصلة بفعل المقاومة في تواشجه بالبعد المنهجي في فعل الاقتدار .

- كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

المؤلف بورقده صغير ، (2023) ، سيكولوجية الاقتدار ، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، المجلد 15، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص ص: 99-107